Best Opinion Piece

كابتن ماجد أو "الأب القائد"؟
حين كان الأسد بلا شبله "بطلنا" السري أيضًا

روجيه أصفر – سوريا

جريدة الحياة
14 أيار/مايو 2018

شكلت الشخصيات الرئيسية في برامج الأطفال أبطال شريحة واسعة من الأطفال السوريين، مع الكابتن ماجد والكابتن رابح فالصياد الصغير وماوكلي فتى الأدغال. ولم يكن العثور على بطلك الشخصي سهلًا في برامج الأطفال التي تعرض في سورية، فكثير منها يبدو أشبه بفصول هاربة من راوية مأساوية لمكسيم غوركي، حيث طفل يجول بحثًا عن أهله الذين فقدهم، أو صبية تيتمت وافتقرت وبدأت تعاني اضطهاد مديرة المدرسة!

أيضاً كان لأبطال حكايات الجدات حصتهم في تصدر مخيلات الأطفال وقلوبهم: الشاطر حسن وعنترة بن شداد وغيرهم، أما "الأبطال" الدينيين كالأنبياء وعلى رغم نيلهم مكانة مميزة في تربية هؤلاء الأطفال إلا أنهم بدوا خارج إطار الواقع المعاش، فصاروا ربما في مكانة ما فوق الأبطال.

من جهة أخرى وعلى أرض الواقع، بعيدًا عن الشخصيات الكرتونية والمتخيلة والمقدسة، وقبل عصر "السوشيل ميديا" هذا، لا أعتقد أن خياراتنا كأطفال في سورية كانت متنوعة أو متعددة: فصورة الرئيس المناضل حاضرة في كل مكان، في الصف فوق السبورة، وفي الشارع، وفي الداوئر الحكومية، وفي منزلك ضمن كتبك ودفاترك المدرسية... لا مفر. هو بطلك المفروض عليك فرضًا. ثم تسللت إلى مشهديتنا نحن مواليد أواخر سبعينات وبداية ثمانينات القرن المنصرم صور الباسل، ابن القائد المناضل، يطل ممتطيًا فرسه أو مرتديًا نظارته الشمسية المهيبة من نوع "راي بان" مع ثيابه العسكرية المرقطة التي لا تشبه الثياب "الممضوغة" للجنود الذين نراهم في الطرقات.

كان خالي المهووس بالموسيقى وذي الشخصية الغامضة والمحببة في آن على علاقة شخصية بالباسل كما كان ينادى مع "أل" التعريف. وكان خالي ذاك لا يكل ولا يمل عن امتداح شخصيته في المنزل، فيما كانت محاولات رسم القائد والباسل في حصص التربية الفنية أمرًا رائجًا، وقد يحسب هنا لنظام القائد المناضل أنه لم يحاسبنا على ما فعلنا عن حسن نية وقتها بسحنته في محاولاتنا اليائسة لتصويره... يمكنني أن أتذكر حتى اللحظة كلمات ولحن الأغنية التي لم أسمعها منذ 15 عامًا، كأنها بالأمس: "أبو باسل قائدنا، يا بو الجبين العالي، تسلم وتصون بلدنا من غدرات الليالي". ولكن، وبكل فخر كانت محاولاتي الفنية معدودة إذ كانت تتحطم عند محاولات رسم الجبين العالي... رسم نظارات الرايبان والبدلة المرقطة كان أسهل.

"استشهد" الباسل في حادث أفجع الكثيرين حينها، وأظن خالي بكى كثيراً، وسررنا بالطبع بعطلة مدرسية غير متوقعة وإن كنا حرمنا من مظاهر الابتهاج الطفولي العلني. في باحة المدرسة رحنا نردد الأهزوجة بينما اعتلى رفيقانا باسل وبشار كل منكبي زميل من الزملاء وأطلقا هتافًا رحنا نردده معهما "لا تزعل ولا تحتار، راح باسل أجا بشار"، لم يكن قد مضى إلا 3 أيام على "استشهاد" الباسل آنذاك، وكنا نحن أطفالًا في الصف الرابع الإبتدائي.

Best Opinion Piece

بعد أسابيع زُرعت شجرة زيتون صغيرة في زاوية محضرة بعناية وعلق بجانبها رخامة حفر عليها "شجرة الخلود للشهيد الباسل".

لاحقاً وفيما نحن في مخيم كشفي في قرية قريبة من منطقة وادي النصارى، ذهبنا لنلعب في فناء المدرسة الحكومية، وهناك، وكالعادة كانت لوحة تؤرخ لافتتاح المدرسة، وتمتدح عطاء من الأب القائد، وبالطبع كانت اللوحة الرخامية تحمل شكلًا معدنياً جانبياً لرأس القائد، الحاضر في كل مكان. لا أدري ما الذي دفعني يومها إلى استلال قلم التخطيط أحمراللون لأضيف لمسة حمراء على عين القائد الخالد... ربما من باب كسر طغيان اللون الرمادي على الرأس الذي تعاقبت عليه الفصول في فناء المدرسة. عدنا إلى مخيمنا الأساسي بعد يوم كشفي طويل، في اليوم التالي استدعاني القائد الكشفي المسؤول عني، وهو يرتجف، "شو عملت؟"، كنت قد نسيت الأمر تماماً، فذكّرَني، ولم أدرِ كيف أبرر فعلتي.

في الصف التاسع لمس أساتذتي حسن اتقاني للغة، فكنت أكلف بكتابة الخطابات لإلقائها في المناسبات الوطنية على تلاميذ المرحلتين الإعدادية والثانوية. والمناسبات الوطنية هي "الحركة التصحيحية المباركة"، و"حرب تشرين التحريرية"، و"ميلاد الحزب العملاق" وهكذا. وكنت ألقي الكلمة معتليًا شبه منصة على تلاميذ المرحلتين في باحة تتوسط المساحة الفاصلة بين المطرانية والكنيسة، فأقف أنا في الظل وبقية التلاميذ تحت الشمس بمن فيهم أخي الكبير ورفاقه. وجرت العادة على أن يقاطع التلاميذ الكلمات المشابهة بالتصفيق والهتاف كلما ذُكر اسم القائد الخالد. أخي ورفاقه كانوا لرغبة في الشغب والمرح يقاطعون كلمتي كل عشر ثوان عمليًا، حتى من دون ذكر الاسم السحري، هاتفين كالعادة: "بالروح بالدم نفديك يا حافظ... حافظ أسد رمز الثورة العربية"، عالمين ألا أحد من المعلمين أو الإدارة أو حتى الأب المسؤول سيجرؤ على زجرهم.

من جهتي، كل ما كان في وسعي فعله، الإطالة بكلمتي قدر الامكان ممجدًا الأب القائد المناضل ومعدداً إنجازاته ومكرماته لإبقائهم في الشمس أطول مدة ممكنة انتقاماً منهم.

مرت 3 سنوات عذاك المخيم، وذهبنا في مخيم كشفي آخر. سهرنا للحديث عن القدوة والمثل الأعلى لكل منا، فكان كل بدوره يذكر بطله أو مثاله الأعلى ثم يشرح سبب اختياره، وحين حان دوري قلت بعد تردد بسيط "حافظ الأسد"، وبررت اختياري من خلال ما قرأته عن سيرة القائد المناضل في مؤلف باتريك سيل، كيف انطلق من بيئته المتواضعة المحرومة ليصل إلى أعلى هرم السلطة في البلاد... كنت فعلًا معجباً به وكان بطلي، على إدراكي المبهم آنذاك لـ "الوجه الآخر" لبطلي هذا.

كان حافظ الأسد وأحيانًا باسل وبشار هم أبطال كثيرين منا، أكان ذلك فعلًا واعياً أم لا، مفهوماً أم مستغرباً. انظر اليوم من حولي، وأتمعن في غالبية معارضي النظام السوري: مؤسسات المعارضة السياسية وأجسامها، الفصائل والميليشيات العسكرية المعارضة على تنوعها، الكثير الكثير من منظمات ومؤسسات "المجتمع المدني" السوري وصولًا إلى سلوكياتنا في وسائل التواصل الاجتماعي... هل أنتجت أو أفرزت بعد 7 سنوات أنماطًا للسلطة والإدارة والتعامل إلا تلك الأسدية البعثية؟

Best Opinion Piece

معارضون عتاة، يمسون أسديين ما إن تأتي سيرة الآخر، أكان يمثل بلداً كلبنان مثلًا أو عرقاً كمواطنيهم الأكراد. مديرو منظمات مدنية ينطقون باسم الثورة ولم يختبروا من الإدارة إلا الإتكاء على عيون وآذان يزرعونها هنا وهناك، وكتابة التقارير والتمييز والتحريض وطلب الولاءات الشخصية... وغير ذلك مما ليس المجال لذكره.

الأسد، الأب والأبناء، كانوا أبطالنا، ويبدو أنهم سيبقون -على كره وإنكار منا- أبطالنا حتى يأتي يوم يخرج فيه الشبل الذي في داخلنا فنصبح حينها، وحينها فقط أحراراً من ثقل بطولاتنا.

Best Opinion Piece

Captain Majed or "the father commander"?

When Assad without his son used to be our secret "hero" too

Roger Asfar – Syria

Al Hayat
14 May 2018

There was a time when the main characters in children's animated television series constituted the heroes of a myriad of Syrian children. Captain Majed, Captain Rabeh as well as the little fisherman and Mowgli the jungle boy all stood as paragons in our childhood years. Though it may seem strange, it was in fact far from easy to find your personal hero in the sort of cartoons that ran in Syria back then. Many of these animated television shows were akin to brief glimpses into a tragic novel by the Russian-Soviet author Maxim Gorky wherein a child roams around looking for the parents he lost, or an orphaned, impoverished girl incessantly tormented by the headmistress at her school.

The familiar heroes who populated grandmothers' stories, like Al-Shater Hasan, Antara Ben Shaddad and others, also presided in Syrian children's imaginations and hearts. As for religious figures such as prophets, despite them being central to the way Syrian children were brought up, they often felt out of reach, existing in a reality of their own, one that had little to do with our mundane lives. For this reason, these mythical figures were elevated to a position above that of the customary hero.

In fact, cartoons, our grandmothers' fabled heroes and sacred figures aside, and before the advent of the social media era, I do not believe we as children had a variety or multitude of choices at our disposal in terms of heroes. After all, the image of the valiant president was ever present in our lives: it hung above the board in our classrooms. In the streets and in government buildings, and even in our homes printed on pages of our school books and notebooks…There was no escaping from it. It was the hero that had been imposed on us. For those of us born in the late 1970s and early 1980s, the images of Bassel, the son of the valiant president, also crept into our experience of the world. In these images, he often appeared elegantly riding his horse, wearing his majestic Ray-Ban glasses and glistening in his military uniform; his unlike the creased military garb of the common soldiers we used to see in the streets.

My uncle, a man obsessed with music and casting a mysterious yet loving presence, appeared to have a meaningful personal relationship with "Al" (the) Bassel (as the leader's son was referred to in those days). At home, that uncle of mine never tired of heaping praise on Bassel's character. Meanwhile, at school, attempts to draw the leader and his son Al-Bassel were a significant and formative element of our artistic education. The regime of our valiant commander should be credited for never penalizing us for obliterating Bassel's charm in our failed, if sincere, attempts to reproduce him on paper. To this day, I can still remember the lyrics and melody of the song I have not heard in 15 years. I remember it as if I heard it yesterday: "Our commander, father of Bassel, oh great one with the high forehead, may you always be safe and protect our country from the evils of the night". Still, I say proudly that

Best Opinion Piece

my artistic attempts to draw the leader were but a few because they always ended in failure when the time came to draw the high forehead…Drawing the Ray-Ban sunglasses and the camouflage uniform was easier.

Bassel was "martyred" in a car accident that left many Syrians genuinely devastated at the time. I remember my uncle crying a lot. Naturally, we were very pleased to get an unforeseen break from school even though we could not openly express our infantile joy at the news.

A few days later, we solemnly stood in the school's playground singing the popular song in praise of the leader while our peers Bassel and Bashar, perched atop their classmates' shoulders, spontaneously erupted into chants: "Don't despair and don't be discouraged, Bassel is gone but Bashar has arrived", and we chanted along with them. Only three days had passed since Bassel had been "martyred", and we were young children in the fourth grade at the time. A few weeks later, a small olive tree was planted in a corner of the school's courtyard that had been carefully landscaped for this very purpose. Next to it, there was a stone engraved with the words: "The tree of eternity for the martyr Bassel".

Later that summer, at scout camp in a village near the Nasara valley (Valley of Christians), we went to play in the courtyard of a nearby government school and there, as usual, there was a plaque with the date of the school's opening extending thanks to the tender father-commander. As may be expected, the outline of the commander's head, which had been fashioned with metal, appeared on the side of the marble plaque, for the commander was present everywhere. I do not know what possessed me that day to grab a red marker and scribble a red mark over the eye of the immortal leader... Maybe it was on attempt to liven the tyrannical grey of the plaque which had faded with the passage of seasons in the school's courtyard. In any case, we returned to our main campsite after a long day. The following day, the camp leader summoned me. Shaking with fear, he asked me "what did you do?". I had completely forgotten about the matter, so he reminded me. I was at a loss for words and could not explain my act.

In ninth grade, my teachers noticed my mastery of the Arabic language, so I was often entrusted with the task of writing speeches to be read on national occasions in front of a crowd of primary and high school students. National occasions consisted of "The Glorious Corrective Movement", "The October Liberation War", and "The Birth of the Great Party" etc. I would give my speech standing at a semi podium in front of primary and high school pupils in a courtyard located halfway between the diocese and the church. I would stand in the shade while my peers, including my older brother and his friends would stand under the hot sun. It was customary for pupils to interrupt such speeches by clapping or erupting spontaneously into chants every time the name of the immortal leader was mentioned. My brother and his friends, out of mischievousness and a strong desire to torment me and entertain themselves, would interrupt my speech every ten seconds, even when there was no mention of the magical name, chanting as usual: "With our souls, our blood, we sacrifice for you Bashar... Hafez Assad the symbol of the Arab Revolution". They knew very well that none of the teachers, superintendents or the father in charge would ever dare to cut them off.

Best Opinion Piece

As for my part, to avenge myself, all I could do was prolong my talk as much as possible, honoring the valiant commander and enumerating his achievements and honorable acts one by one, in order to keep my brother and his friends standing in the boiling sun for as long as possible.

Three years went by after that camp incident, and we went on another trip to a boy scouts camp. One night, we stayed up to talk about our role models and the people we look up to the most. We took turns naming our heroes and explaining the reason we had chosen them. When it was my turn to divulge who my hero was, I said with slight hesitation: "Hafez Al-Assad". To explain my choice, I simply referred to what I had read in the biography penned by Patrick Seal on the life of the valiant leader, namely how he rose from a humble background marked by deprivation to reach the highest rank of power in the country... I truly held him in admiration in those days, and he was my hero, despite my vague awareness at the time of "the other side" of this hero of mine.

There was a time when Hafez Al-Assad, and sometimes Bassel and Bashar, were the heroes of many among us. Was this a conscious choice on our part or not? Is it understandable or surprising? I look around today and scrutinize the majority of Syrian dissidents: the various political institutions and bodies established by the opposition, the militias and military factions in all their diversity, the preponderance of civil society organizations and institutions and, last but not least, I also look at the terrible way we Syrian dissidents collectively behave on social media networks... We must ask ourselves, seven years into this revolution. Have any of these political and military forces spawned or produced new forms of authority, administration and comportment that are markedly different from the Assadist Baathist way of relating that has been ingrained in us?

What I see is hardened dissidents, who turn Assadists as soon as the other is mentioned, whether that other represents a country like Lebanon or an ethnicity like Kurdish citizens. Directors of civil society organizations who speak in the name of the revolution yet know nothing of heading an organization aside from planting eyes and ears, here and there, to spy on their own employees, writing incriminating reports, discriminating, inciting people against each other and asking for their employees' unwavering loyalty... and much more that I will defer from mentioning here.

Al-Assad, the father and the children, were once our heroes and it seems they will remain so - despite our hatred and vehement denials- until the day comes when the cub within us finally leaves. Then and only then, we shall become free people who measure up to the gravity of our heroic acts.